الفصل السادس

الرأي العام العالمي

opeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول

ماهية الرأي العام العالمي

تتنوع تعريفات الرأي العام العالمي بشكل كبير بين العديد من الخبراء والمتخصصين، منهم من يعرّفه على أنه: كل تعبير تلقائي عن وجهة نظر معينة لا تقتصر على أنه إثبات وجودها على مجتمع محلي معين، وإنما تتعدى الحدود بين الجماعات السياسية لتعبرعن نوع معين من التوافق بين بعض الطبقات أو الفئات التي تنتمي إلى أكثر من دولة واحدة، سواء أكانت تلك الدول في مجموعها تكوِّن مجتمعا إقليميا دوليا، أو كانت تنتمي إلى أكثر من مجتمع دولي[١].

ومن خلال هذا التعريف يمكن القول بأن هناك عناصر معينة يجب أن تتوافر لكي يكون هناك رأي عام دولي، كما أنه يمكن على ضوء هذه العناصر أن نميز بين الرأي العام الدولي والرأي العام المحلي.

وهناك تعريف آخر للرأي العام الدولي يقول بأنه: الرأي السائد الذي تتفق عليه غالبية دول العالم تجاه بعض القضايا أو الأزمات المطروحة في السياسة الدولية[٢].

وقد يظهر الرأي العام العالمي في صورة رد فعل تلقائي مؤقت إزاء تصرف دولي معين، وقد يمتد تأثير رد الفعل هذا ليقترن بتوقيع عقوبات دولية على الدولة أو الدول المخالفة.

ويعرف البعض الرأي العام العالمي على أنه: تلك الاتجاهات التي تسيطر على أكثر من مجتمع واحد، أو التي تعكس توافقًا في المواقف بين أكثر من وحدة سياسية واحدة[٣].

وهناك أمور مختلفة لعبت دورًا في التحولات على جميع المستويات؛ مثل: التقدم التقني في وسائل الاتصال، والذي أدى إلى استحالة إقفال الحدود، وهناك ترجمة فورية لأي موضوع.

وقد بدأ الرأي العام العالمي بالظهور بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية، عندما اكتشفت الأهمية القصوى للإعلام في هذه الأوقات، وكيفية أن يكون هناك رأي عام

يأخذ الطابع الدولي، وهو يعتبر سمة أساسية في الإعلام الدولي، ويعتبر مؤثرا في توجيه السياسة الخارجية.

ويرى البعض أن هناك ستة أحداث ساعدت على ظهور الرأي العام العالمي، وهي[٤]:

١. قيام الثورة البلفشية عام ١٩١٧.

٢. قيام أول منظمة عالمية لصيانة السلام (عصبة الأمم).

٣. الأزمة الاقتصادية العالمية في كثير من دول العالم الأول، وخاصة أمريكا.

٤. العدوان الفاشي والحرب العالمية الثانية.

٥. قيام الأمم المتحدة.

٦. في عام ١٩٥٥ عقد مؤتمر في باندونج - إندونيسيا - للتعايش السلمي، ومنه ظهرت مجموعة دول عدم الانحياز، في البداية كانت الدول الآسيوية والأفريقية، ثم تطورت وشملت دول أمريكا الجنوبية.

ويضاف إلى ذلك التقدم التقني الذي ترك آثارًا ونتائج كثيرة، منها[٥]:

١. حدوث تغيرات في الظواهر السياسية والاقتصادية.

٢. استطاع التقدم في وسائل الاتصال أن يقوي اتساع نطاق السلطة ويعزز مكانتها ومركزيتها.

٣. استطاع التقدم العلمي أن يحقق تقاربًا فكريًّا بين الأمم.

٤. التقدم العلمي أدى إلى بروز التكنوقراطية وإسهامها في السلطة والحكم، فهذه الفئة تتحكم بالقرار السياسي.

كما أن الرأي العام العالمي يخلق ثلاث صور أساسية، وهي[٦]:

١. تقارب وجهات النظر من عدة مجتمعات تجاه مشكلة واحدة.

٢. أصبح بالإمكان أخذ قياس الرأي العام العالمي عن طريق الدراسات.

٣. بروز دور كبير للأحزاب السياسية وجماعات الضغط.

- الصعوبات التي تحول دون وجود رأي عام عالمي فعّال - كما يرى خبراء الإعلام[٧] - :

١. عدم وجود ثقافة عالمية.

٢. عدم فاعلية المنظمات الدولية (الأمم المتحدة).

٣. وجود معسكرات سياسية مختلفة بالعالم (الشيوعي - الرأسمالي - الإسلامي ...)، وهذه المعسكرات تمثل عائقًا أمام عدم وجود رأي عام عالمي.

٤. مشكلة العادات والقيم واللغة.

- بالإضافة إلى مجموعة من الخصائص التي تعيق الرأي العام العالمي على أرض الواقع، وهي[٨]:

١. سيطرة الولايات المتحدة ودول الشمال على النظام الإعلامي الدولي "دكتاتورية اتصالية"؛ حيث ظهرت رؤية شائبة، وهي أن وسائل الإعلام فيها كثير من التسلية والتركيز على حب الاستهلاك، وأصبح صوت أمريكا هو الصوت الوحيد الذي يسمع بالعالم.

٢. الاحتكار؛ حيث تواجه وسائل الإعلام الأزمة.

٣. الاختلال؛ حيث إن كثيرًا من السلبيات وأحداث دول الجنوب لا تعرفها جماهير دول الشمال، فيتزايد جهل شعوب الشمال بقضايا الشعوب الجنوبية، وتشعر دول الجنوب بالدونية والانهزامية، كما يتزايد شعور دول الشمال - خاصة البيض - بالاستعلاء العرقي.

٤. العنصرية.

٥. عدم العدالة.

- أهمية الرأي العام العالمي:

اختلفت آراء علماء العلاقات الدولية حول أهمية تأثير الرأي العام العالمي، فقد أكد بعضهم على فعالية تأثيره؛ لأنه كان سببا في ظهور المنظمات الدولية المعنية بحفظ السلم والأمن الدوليين، مثل: منظمة عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الثانية.

في حين يرى البعض الآخر أن الرأي العام العالمي ليس له دور فعال أثناء بعض التصرفات الدولية الجائرة والظالمة.

مثل: فشل الرأي العام العالمي في التأثير على سياسة ألمانيا التوسعية في أوروبا، والتي كانت إيذانا بنشوب الحرب العالمية الثانية، وأيضا فشل الرأي العام العالمي في إيقاف التدخل السوفيتي المسلح في المجر وبولندا عام **١٩٥٦**.

ومثل: فشل الرأي العالمي في التأثير على الولايات المتحدة الأمريكية بعدم التدخل في فيتنام عام **١٩٦٤**.

ومثل: فشل الرأي العالمي في التأكيد على أن إسرائيل دولة معتدية على فلسطين، وأن فلسطين هي الضحية، وشعبها الأعزل من السلاح يباد تحت الآلة العسكرية الإسرائيلية.

وعلي ذلك فإن أهمية دور الرأي العام العالمي تختلف تبعا للمتغيرات والمواقف الدولية؛ فقد يكون له تأثير إيجابي، وقد لا يكون له أي تأثير، إلا أن غالبية دول العالم – حتي القوية منها بصفة عامة – لا يمكنها تجاهل الرأي العام العالمي، بل تسعى دائما لتبرير مواقفها على الساحة الدولية، وإقناع الرأي العام العالمي بسياستها.

كما تتأثر وحدة اتجاهات الرأي العام العالمي بمدى وجود حد أدنى من الوحدة النفسية التي تولد نوعا من الاعتقاد العام والمشترك في عدد من القيم والمبادئ التي لا تتأثر بالإضافات القومية أو العنصرية أو البيئية، وأن أي انتهاك لهذه القيم يعتبر تحديا يدفع دول العالم إلى استنكاره وإدانته؛ وذلك يؤدي إلى خلق رأي عام عالمي موحد تتفق عليه هذه الدول.

وتتأثر وحدة اتجاهات الرأي العام العالمي على جانب آخر بما يطلق عليه ثورة الاتصالات التكنولوجية؛ فقد أدى التطور الهائل في وسائل الاتصالات إلى تقريب المسافات وتسهيل عمليات الاتصال بين الدول؛ وذلك أدى إلى إمكانية نقل مختلف آراء الدول وتفاعلها تجاه بعضها.

وبالرغم من تأثير النزعات القومية على اتجاهات الرأي العام العالمي، إلا أنه لا يمكن إغفال أهمية هذه التطورات التكنولوجية في ربط دول العالم.

فمثلا: الأقمار الصناعية وأجهزة الكمبيوتر والإنترنت أدت إلى أن أي حدث سياسي أو عسكري يقع في أي منطقة من العالم مهما كانت بعيدة أو نائية – يخلق ردود فعل فورية على المستوى العالمي ككل، وهي ما تسمى اتجاهات الرأي العام العالمي.

والرأي العام لكي يكون دوليا أو عالميا لا بد من أن يعبر عن اتجاه تلقائي من جانب أكثر من مجتمع واحد في محيط الأسرة الدولية، ولا يكفي فيه أن يكون مجرد تعبئة موفقة يتولاها التنظيم السياسي لغاية معينة(٩).

- **أنواع الرأي العام العالمي:**

يقسم بعض علماء العلاقات الدولية الرأي العام العالمي إلى نوعين، وهما(١٠):

١- الراي العام العالمي الرسمي:

وهو الرأي الذي يعبر عن وجهة النظر الرسمية للدولة تجاه قضية أو أزمة عالمية.

٢- الرأي العام العالمي غير الرسمي:

وهو الرأي الذي يعبر عن آراء الجهات غير الرسمية في مختلف دول العالم، مثل: الأحزاب والنقابات المهنية في البلدان المختلفة.

- **مراحل تكوين الرأي العام العالمي:**

الرأي العام بصفة عامة يمكن تحليل تطوره التكويني إلى خمس مراحل؛ كل مرحلة منها تعبر عن درجة من درجات العمق والتكامل في ظاهرة الرأي العام، وهذه المراحل هي(١١):

١- المرحلة الأولى:

وهي المرحلة التي يطلق عليها مرحلة الإدراك، أو بعبارة أخرى: هي مرحلة المعرفة بالمشكلة، وهي تتم عادة على أساس فردي؛ بمعنى أنها ليست إلا مشكلة اتصال ونقل لرسالة معينة تحددت على ضوئها علامات ذاتية لمفهوم تلك الرسالة.

٢- المرحلة الثانية:

وهي مرحلة الصراع، وتعني أن الرسالة مثلما نفهمها لا بد وأن يكون لها رد فعل بالقبول أو بالرفض، وهذا يعني خلافا في وجهات النظر وصراعا حول تلك الوجهات؛

إذ إن كل وجهة من وجهات النظر لا بد وأن تعبر عن مصالح معينة، وأن تتفاعل معها حقائق ثقافية معينة، وقد يأخذ هذا الصراع في أول الأمر شكلا فرديا، ولكنه مع مُضِيِّ الوقت يصيبه نوع من التهذيب والتسوية في مختلف عناصره.

٣- المرحلة الثالثة:

وهي المرحلة التي يطلق عليها مرحلة الرضا والاتفاق، ومعني ذلك أن مختلف الفئات التي كانت تعبر عن وجهات نظر مختلفة، ولكنها متقاربة، واتجهت إلى التركيز حول أحد الآراء التي تمثل في العادة الأكثر قوة، سواء من حيث الكم، أو من حيث الاعتدال والتوسط، تتجه إلى نسيان عناصر الخلاف، وإلي خلق نوع من الاتفاق الضمني - حتي لو كان مؤقتًا - حول ذلك الرأي صاحب السيطرة.

٤- المرحلة الرابعة:

وهي مرحلة الاندماج؛ أي: أن الاتفاق الضمني على موقف معين يحدث أثرين: أحدهما اجتماعي، وثانيهما نفسي، من حيث الذات الفردية للمواطن؛ إذ يتجه إلى الانسياب داخل الشخصية الفردية والتقابل مع ملامح تلك الشخصية؛ حيث يمكن أن تقول في ذلك: إن المواطن أو الفرد المنتمي إلى هذه الفئة أضحى وقد احتضن ذلك من صور التعبير عن الرأي العام؛ لتصير أحد ملامح شخصيته السياسية فيما بعد؛ حيث تعد هذه المرحلة هي المحددة من حيث قوتها وعمقها من المرحلة التالية، وهي المرحلة الخامسة.

٥- المرحلة الخامسة:

وهي المرحلة التي يطلق عليها مرحلة استقرار الرأي العام.

وهذه العوامل يمر بها الرأي العام الدولي والرأي العام الوطني أو المحلي على السواء، فليس ثمة فارق بينهما من حيث الطبيعة، وإن وجد فارق من حيث الكم والكيف.

كما أن طبيعة التطور المعاصر للمجتمع البشري تتجه بدورها إلى الحد من تأثير تلك العوامل، ولن يبعد اليوم الذي نجد فيه أيضا تلك النواحي المادية التي تؤخر تكامل الرأي العام الدولي من حيث تطوره، إذا قورن بالرأي العام الوطني.

كما أن هناك تطورات هائلة ومتلاحقة على الصعيد الكوني ممثلا في الثورات المترابطة؛ مثل: الثورات المعلوماتية، والتقنية، والاتصالية، وما أنتجته من وسائل وأدوات جعلت من العالم قرية كونية صغيرة في ظل ظاهرة العولمة، والتي أبرزت ظاهرة الرأي العام الدولي، والرأي العام "المعولم".

* * *

obeikandl.com

المبحث الثاني

الارتباط الأبدي بين الصحافة والرأي العام

هناك ارتباط أبدي بين الصحافة والرأي العام، لا يمكن أن يفصل بينهما، وهذا الرباط وثيق الصلة ومتشابك إلى أبعد الحدود؛ فالصحافة من أهم وأكثر وسائل الإعلام من حيث الفعالية في تشكيل وتكوين الرأي العام؛ حيث تعتبر الصحافة من أكثر وسائل الاتصال الجماهرية إحداثا للرأي العام والتأثير فيه، وهذا يظهر بصورة أكبر في الدول الديموقراطية على وجه التحديد.

فخلال معظم مراحل التاريخ الأمريكي، لعبت الصحافة دورا نشطا وعلنيا في محاولة صياغة الرأي العام العالمي؛ فالغليان الذي قاد إلى الثورة الأمريكية تضمن مناظرات تحريضية ومواقف متشددة في الصحف آنذاك، وفي أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر كانت الصحف في أغلب الأحيان متحالفة بشكل علني مع الأحزاب والفعاليات السياسية؛ حيث تتلقى دعما ماليا منها.

وليس من قبيل الصدفة أن العديد من الصحف كان يتضمن اسمها كلمات، مثل: الديموقراطية أو الجمهورية أو الفيدرالية أو المستقلة.

وكانت تلك الصحف تنشر كل ما يخطر ببال من قذف وافتراءات ضد السياسيين المعارضين.

أما السياسيون الذين يؤيدونهم فكانوا يتلقون دوما تغطية إيجابية حارة. وكانت الحملات الإعلامية السلبية التي يشجبها معظم الناس في المعارك السياسية الحديثة تبدو باهتة، مقارنة بالهجمات الشخصية التي كانت الصحافة المنحازة تشنها ضد من هم في الجانب المعارض لها. وكما كتبت إحدي الصحف عن الرئيس الأمريكي الأسبق (جورج واشنطن)؛ حيث اقتربت فترة رئاسته الثانية من الانتهاء: "الرجل الذي هو مصدر كل مصائب بلدنا"، فلم تعد لديه سلطة مضاعفة المصائب على الولايات المتحدة، لقد توقف اسم واشنطن منذ هذا اليوم عن تغذية الظلم السياسي وإصباغ الشرعية على الفساد.

ومع تطور المجتمع خلال القرن التاسع عشر بدأت الصحافة الحزبية في التغير حين رأى بعض رجال الأعمال الطموحين أن في وسعهم كسب المال من عمل الصحف علاوة على ممارسة نفوذ أكبر بكثير مما يتمتع به أقطاب الصناعة عادة.

على سبيل المثال: حدث في مصر أن قام رئيس حزب الوفد المصري ورجل الأعمال الدكتور السيد البدوي – بشراء جريدة الدستور الخاصة؛ لكي يكتسب من خلالها المزيد من النفوذ السياسي والمال أيضا، وقدرت عملية شراء الصحيفة آنذاك بمبلغ **٢٠** مليون جنيه مصري، وذلك في أغسطس عام **٢٠١٠**، ولكن الأحداث أثبتت فيما بعد عكس ذلك.

ومن جانب آخر، فقد سمح تطوير المطابع البخارية بطباعة ألوف الصحف بسعر معقول، وذلك ساعد في ازدهار (صحافة البنس)، وهي الصحف الشعبية التي كانت تباع ببنس واحد للنسخة في الولايات المتحدة الأمريكية، وتصل إلى مجموعة كاملة جديدة من القراء، وبدأت الصحف التي كانت تدعمها الأحزاب والمصالح السياسية في التلاشي مع نمو الصحف كقطاعات أعمال(١٢).

وكتب (جيمس جوردن) في العدد الأول من صحيفة نيويورك في عام **١٨٣٥** قائلا: "يجب أن نسعى إلى تسجيل الحقائق مجردة من اللغو والتحيز عن كل موضوع خاص أو عام".

وقد كان ناشرو الصحف في أغلب الأحيان يحملون وجهات نظر متطرفة عن السياسة والسياسة الخارجية والقضايا المحلية، وكانت صحفهم تعكس وجهات النظر تلك من الصفحة الأولى، حتى صفحة المحررين، على الرغم من أنه كان من الصعب أحيانا رؤية أي اختلاف بين الصفحتين(١٣).

وكان لوجهات النظر المتشددة هذه والتغطية الإخبارية المصاحبة لها التي نطلق عليها اليوم التغطية الإخبارية المتحيزة – فوائد عملية على صعيد العمل؛ حيث إن القراء يتجهون غالبا إلى الصحف التي تعكس وجهات نظرهم بوضوح.

ووصل هذا التوجه في الصحافة ذروته بظهور الصحافة الصفراء في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، حين احتلت أسماء مثل: (بوليتزر)، (هيرست) وآخرين صدر الصفحات الأولى لصحف تلك الأيام.

وقد ساعد الكاتب الأمريكي (وليام راندولف هيرست) على دفع الأمة إلى خوض الحرب الأمريكية – الإسبانية عن طريق مقالاته التي كان ينشرها يوما بعد يوم في صحيفة (نيويورك مورننج جورنال)، وكان زمنا كثرت فيه الصحف في مختلف أنحاء أمريكا، وكان هناك أكثر من عشر صحف في نيويورك وحدها، وكانت المنافسة عنيفة، ولم تتمكن صحف كثيرة من البقاء لفترة طويلة.

ولكن مع ازدياد ترابط الأمة ببعضها عن طريق التلغراف، ثم التليفون، وبعده الراديو(١٤).

وكان يلوح في الأفق تغيير في الصحافة أيضا. وقد جلب تطور خدمات الأنباء السلكية مثل: (الأسوشتيد برس)، و(اليونايتيد برس)، و(رويترز)، وغيرها – طرازا مختلفا من الصحافة.

فمنذ أواسط القرن **١٩** وأواخره، زودت هذه الخدمات السلكية الصحف بمواضيع إخبارية من مختلف القناعات السياسية، وليس فقط تلك المتحالفة مع حزب سياسي معين، أو التي تؤمن بمجموعة من القيم.

وبالتالي لم يكن في وسع المواضيع التي تنقلها الخدمات السلكية الانحياز إلى أي جانب، كما هو الحال بالنسبة لمواضيع الأخبار في بعض الصحف، وقد ركز صحفيو الخدمات السلكية على العمل كمحترفين دون إظهار أي انحياز مكشوف أو وجهات نظر سياسية متشددة.

وهناك وجهة نظر تقول: إن (الأسوشتيد برس) هي التي استحدثت مفهوم الموضوعية في الصحافة كجزء من مسعاها للتعرف بإنتاجها ومنهجها ونفسها، ومع تزايد المراتب التي تميز بين الصحفيين فقد سعى بعضهم إلى إعادة تقييم أدائهم لعملهم والقيم التي يجب أن يتحلوا بها في مهمتهم.

ومع قيام بعض مشاهير الصحافة من أمثال: (وولتر لمان) بشق الطريق، فقد تصاعد النقاش حول (الموضوعية) في محاولة لتخليص تقارير الأخبار من تحامل الآراء الخاصة والتحيز السياسي (والإبلاغ عما يحدث فقط)!

ويُعْزَى جزء من سبب هذا التغيير إلى تزايد مشاركة الولايات المتحدة في القضايا العالمية؛ فلقد كان الأمريكيون انعزاليين إلى حد كبير منذ تأسيس بلادهم، وكانوا يسعون إلى البقاء بعيدين عن النزاعات العنيفة التي دمرت أوروبا خلال القرن التاسع عشر(١٥).

وقد فاز (ودرو ويلسون) بفترة رئاسة ثانية في عام **١٩١٦**، ويعزى الفضل بذلك جزئيا إلى شعار: "لقد أبقانا بعيدين عن الحرب"، ثم لم يلبث أن أدخل ويلسون الولايات المتحدة الحرب، منهيا إلى الأبد الضمانات التي كانت تقول: إن عرض المحيط الأطلسي يبقي البلاد بعيدة عن الصراعات الأجنبية.

هذا، وقد خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الأولى كقوة عالمية، رغم عزوفها عن هذا الدور، وعلقت الصحف والصحفيون الأنباء الواردة من خارج الحدود.

وقد جلب انتهاء الحرب معه صحف الإثارة في حجم جديد صغير، تم تصميمه بحيث تسهل قراءته في الحافلات أو مترو الأنفاق، يضاف إلى ذلك انتشار التقارير المثيرة حول الجريمة والفضائح والجنس.

وعاد الأمريكيون إلى الاهتمام بالشئون الداخلية بعد الحرب، على أمل أن حرب إنهاء جميع الحروب قد أنهتها فعلا، علاوة على وضعها حدا لتورط الأمريكين في أوروبا وأي مكان آخر، لكن الوضع لم يكن كذلك.

* * *

مراجع الفصل السادس

١- حامد ربيع، الاتجاهات الحديثة في دراسات الرأي العام، (القاهرة: مركز البحوث والدراسات السياسية، كلية الاقتصاد، جامعة القاهرة، ٢٠٠١).

٢- حامد ربيع، دراسات في الرأي العام: مقارنة سياسية (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣).

٣- هشام محمود الأقداحي، الرأي العام والدعاية الدولية (الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١٠).

٤- شيلدون آ. ر. جاوايزر: جي - إيفانز ويت، الصحافة والرأي العام، ترجمة هشام عبد الله، مرجع سابق.

٥- المرجع السابق نفسه.

٦- المرجع السابق نفسه.

٧- حامد عبد الماجد قويسي: دراسات في الرأي العام: مقارنة سياسية، (القاهرة: مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٣).

٨- محمود إسماعيل وجلال عبد الله معوض: علم السياسة: الجزء الثاني في النظم السياسية والعلاقات الدولية (القاهرة: دار النهضة العربية) ١٩٩٧.

٩- محمود إسماعيل وجلال عبد الله معوض، مرجع سابق.

١٠- المرجع السابق نفسه.

١١- Dexter, White people society and mass communication, 1967.

١٢- جمال مجاهد، الرأي العام وطرق قياسه، مرجع سابق.

١٣- المرجع السابق نفسه.

١٤- حامد ربيع، دراسات في الرأي العام، مرجع سابق.

١٥- هشام محمود الأقداحي، الرأي العام والدعاية الدولية، مرجع سابق.

* * *

openkandil.com